2

أمـــي وشعـــري

الاهتمام والنقد

بينما كنت أقوم بزيارة والدي في ولاية فلوريدا، كنت أجلس مقابل أمي في غرفة الطعام عندما سألتني: «هل يعجبك شعرك بهذا الطول؟» ضحكت من السؤال. (عندما كنت أصغر وكانت أمي أقوى لكنت قد تألمت وغضبت). سألت باستغراب: ما المضحك؟ فسرت سبب ضحكي وقلت: أني خلال بحثي في هذا الكتاب قد أتيت على أمثلة كثيرة لأمهات ينتقدن شعر بناتهن. قالت أمي: «لم أكن أنتقد». إنه كان من الواضح أنها شعرت بقليل من الألم؛ لذا تركت الموضوع ينتهي. ولكني سألت بعد حين: «أمي ما رأيك بشعري؟» ودون تردد قالت: «أنا أعتقد أنه طويل قليلا».

أتت أم شيلا لزيارة ابنتها، وفي صباح أحد الأيام قالت بصفاء: «أحب شعرك عندما تمشطينه للخلف. إنه جميل جدًا هكذا». الآن يبدو هذا على أنه مديح. ومن الممكن أن يكون كذلك لو أنها بالفعل مشطته للخلف، ولكن شيلا اليوم قد تركت شعرها يتدلى على وجهها. إن مدح ابنتها حول طريقة تمشيط معينة بينما مشطته البنت بطريقة أخرى يدل على: «لا أعتقد أن شكل شعرك جيد بهذه الطريقة التي عليه الآن». وعندما ردت شيلا: «حسنا.. أنا مشطته بهذه الطريقة اليوم». فإنه من الواضح من نغمة صوتها بأنها منزعجة: «ما خطبك؟» سألت أمها وهي تشعر بشيء من الحرقة: «لماذا أنت حساسة للغاية؟».

obeikan.com

إن الشكوى التي سمعتها كثيراً عندما كنت أتحدث إلى نساء عن أمهاتهن هي: «إنها دائما تنتقدني». وأكثر شكوى سمعتها من الأمهات عن بناتهن الراشدات هي: «أنا لا أستطيع فتح فمي. إنها تأخذ كل شيء كانتقاد». إن هذه الشكاوى هي الجانب المعاكس من الآخر. إن الأمهات والبنات يتفقن على معرفة الحوارات المزعجة ولكن لا يتفقن على من بدأ بنغمة الخلاف. أيضاً لديهن وجهات نظر مختلفة حول المعنى الخفي الذي تتضمنه كلماتهن. حيثما تجد البنت النقد فإن الأم ترى العناية، إنها فقط كانت تقدم اقتراحاً، تحاول المساعدة. وتقدم النصيحة والبصيرة. وفي كثير من الأحوال فإن كليهما على حق. سواء أكان منظر شعر شيلا يكون أفضل إذا كان ممشطاً للخلف أم لا فإن أمها مقتنعة بأنه أفضل. وماذا لو كانت الأم على حق؟ أليس متوقعاً.. أم أنه لم يكن واجباً على الأم أن تتأكد من أن ابنتها تبدو على أفضل صورة. ألا تكون الأم مهملة إذا لم تستخدم خبرتها الكبيرة في الحياة لمساعدة ابنتها وتحسين حياتها بما في ذلك مظهرها. إنها روح الاهتمام والعطاء التي من خلالها تتسلل رسائل ذات معانٍ خفية للاهتمام والعناية. ولكن أي إبداء للرأي وتقديم مساعدة من الممكن أن يفهم على أنه انتقاد. وعلى كل فإن الأم التي تعتقد أن ابنتها لا تخطئ فليس لها حاجة في تقديم المساعدة. وعندما تزيد الاقتراحات والنصائح وتصبح دائمة وكثيرة، فإن الابنة ستشعر كما لو أن أمها تراها على أنها مشروع إصلاح، وهذا يجعل البنت تشعر بالتحطيم. إن كلاًّ من الرسائل ذات المعنى الخفي للاهتمام أو للانتقاد موجودة، وكلاهما يشتري العملة اللفظية نفسها. ولكن كل طرف من الحوار يرى جانباً واحداً منها؛ لذا تشعر البنات على أنهن قد تم انتقادهن بغير عدل،

obeikan.com

بينما تشعر الأمهات أنه تم اتهامهن بغير عدل. عندما تنفجر الأعصاب فإن كليهما يشعران بالعمى الجزئي، لا الأم ولا البنت ترى الكرة السريعة آتيه باتجاهها لأنهما تركزان على كرتين مختلفتين.

بالنسبة للبنت فإن الانفجار يأتي دائماً بسبب الانتقاد. لكن الحال مختلفةٌ بالنسبة للأم، فهي ترى أن الانفجار أتى من لا شيء، لأنها تؤمن في قلبها بأنها لم تقصد الانتقاد أو الجرح؛ لذا فهي تتألم مما تعتبره هجوماً مفاجئاً من ابنتها.

ما الذي تنظرين إليه؟

إن الانتقاد غير المباشر ليس السبب الوحيد الذي يجعل النساء تفزع من تعليقات الأمهات على تصفيف الشعر. فإن أي انتباه لمظهرهن ـ حتى ولو كان مديحاً ـ يمكن أن يجرح لأنه يلمح لنقص الانتباه فيما تراه البنت من أهم الجوانب في حياتها. تروي امرأة أنها استبقت بلهفة رؤية فخر أمها عندما رأتها تظهر على قناة «سي ـ سبان» مع رئيس الولايات المتحدة خلال حفل لتوقيع وثيقة. حيث من السهل علينا رؤية السبب الذي جعل تعليقات أمها تنطبع في ذاكرتها. وكان هذا تعليقَ الأم: «لقد بدوت كما لو أنك كنت تحتاجين تعديل قصة شعرك».!! حقا لقد خطر بذهني أنه ربما اقتبست هذه المرأة هذا الكلام. وقالت لي أخرى: إنها استخدمت هذا الأسلوب للرد على تعليقات أمها: «إنني آسفة.. إن الاهتمام الأبدي لموضوع شعري منهك للغاية». أعتقد أن موضوع الشعر واحد من ثلاثة مواضيع كبيرة تميل النساء من خلالها إلى انتقاد أو ـ نصح ـ بناتهن، والموضوعان الآخران هما: الملابس والوزن. (وبالنسبة لبعض الناس هناك رابع، ولكن من نوع مختلف جدا: كيفية تربيتهن لأطفالهن). وها هنا مثال للثاني.. الملابس.

عندما تم نشر كتابي «أنت فقط لا تفهمني». ذهبت في رحلة لنشر الكتاب والتي تضمنت من خلالها الظهور على محطات للتلفاز في كثير من المدن. وقد طلبت من أصدقائي الذين يعيشون بهذه المدن تسجيل هذه المقابلات على شرائط فيديو. وعندما انتهت الرحلة عرضت الأفلام على والدي. أمي كانت فرحة للغاية لرؤية ابنتها على التلفاز، ولكنها كانت مستاءة أيضاً لأنني لبست اللباس نفسه في كل المقابلات. ولم يهدئها معرفة أن المشاهدين لن يشاهدوا كل المقابلات سوية. وبعد ذلك، وكلما ظهرت على التلفاز الوطني علمت بأني لو لبست اللباس نفسه لكنت سأسمع عنه من أمي، ولكنت سأستحق مدحها لو لبست شيئاً آخر. إذا كانت أمي منزعجة لإهمالي بملابسي فقد كان مصدر انزعاجي هو عدم تركيز أمي واهتمامها في ما كنت أقول ووضع جل اهتمامها بمظهري. إن هاجس أمي حول ما لبست على شاشة التلفاز كان خاصاً بحاله معينة. ولكنها متعلقة بالجزء الثالث من الثلاثي الكبير وهو ـ الوزن ـ وهو من المواضيع التي يمكنها أن تطفو على سطح الحوار من خلال موقف بسيط. وهنا واحدة من أكثر الحكايات ندره وغرابة.

جيني كانت واحدة من النساء أخبرتني بأن الالتزام بحمية غذائية كان الشغل الثابت في عائلتها. عندما كانت في المستشفى لولادة طفلها الأول، تلقت زيارة من أمها والتي –وللأسف– حضرت بينما جيني بدأت بتناول وجبتها الأولى منذ ثلاثة أيام. وبينما رفعت جيني قطعة من الخبز ممسوحة بالزبد إلى فمها ظهرت أمها أمام الباب وقالت: «أود رمي هذه القطعة من يدك». ولا شك أن تعليق أمها قد فجر للتو تجاوباً أتوماتيكياً

بدلاً من إجابة متعمدة. ولكن في هذه اللحظة بدت ولادة الطفل لجيني أحق بالاهتمام من حجم السعرات الحرارية التي كانت تأكلها.

بالرغم من أن كثيرًا من النساء ذكروا تعليقات عن ملابسهن وأوزانهن عندما يتحدثن عن انتقاد أمهاتهن. لكن الموضوع الذي ظهر باستمرار وبشكل مشوق وبطرق عدة هو ـ الشعر ـ.

قصة شعر

عندما تنتقد الأم شعر ابنتها ـ أو جانباً آخر من مظهرها. فإنها تقول ما يراه الآخرون في ابنتها والذي لا يعبرون عنه. فأنت لا تقترب من غريب وتقول له: «أنا أستطيع رؤية أنك لم تغسل شعرك هذا الصباح. أنت ستبدو أفضل بكثير لو فعلت». ولكن الأم ـ التي ستصبح البنت الراشدة في المستقبل ـ فإنها تشعر بأنها مؤهلة وملزمة بالتعبير عن هذه الملاحظات بكلمات.

لماذا إذا النقد (أو المدح على أي حال) دائماً مركز على الشعر؟ إن هناك إشارتين تظهران في تعليقات النساء. قالت ميغان: «إن أمي أخبرتني بأنه من غير اللائق لمهنتي أن أترك شعري طويلاً». «والمزعج جداً هو أنني أتلقى مدحاً كثيراً لشعري والباقون يعتقدون أنه جميل. إلى جانب زوجي أيضاً». زادت ميغان بحماس: «وفي الحقيقة.. فإن أمي تكره شعرها! إنها دائما تحملق في المرآة، تحاول أن تسحبه للأسفل أو تحاول نفشه أو إبعاده عن وجهها أو تقريبه من وجهها».

سحب الشعر للأسفل، نفشه، تحريكه باتجاه الوجه و إبعاده عنه ـ إن ملاحظات ميغان تجعلنا نركز الانتباه على المأزق الذي يواجه كل النساء:

Obeikan.com

الخيارات الكثيرة التي وضعت كل النساء في مأزق حيال طريقة تصفيف الشعر. إن لدينا نحن النساء الكثير من الخيارات، حيث إن أي خيار منها سوف يكون بالتأكيد ليس الأفضل. وهذا يفسر لماذا تواجه كثير من النساء وقتاً صعباً في إيجاد طريقة قص شعر تعجبهن. ولماذا تثار نوبة من القلق الشديد بدلاً من التفاؤل فقط لمجرد التفكير بقصة الشعر.

كنت أتأمل هذا بينما أركب عربة قطار المسافرين من محطة القادمين في المطار إلى المحطة الرئيسة. فحصت بنظري النساء اللاتي كن في العربة معي، فكان منهن المتزوجة والعازبة التي اعتقدت أن شعرها من أجمل ما يكون، كل واحدة منهن في نظري كانت ستبدو أفضل لو أنها صففت شعرها بطريقة أخرى. وبالطبع فأنا لن أخبرهن بهذا أبدا ـ ولكن ربما قد تفعل أمهاتهن. ثم تفحصت بنظري الرجال في عربة القطار، كل واحد منهم كان قد صفف شعره بطريقة غريبة، لكن لم يكن أي واحد من الذين تفردوا بالمنظر الغريب أقل من الأمثل. (حاولي تجربة هذه الاختبار في أي مكان عام حيث يتجمع الغرباء: محطة الباص، الطائرة أو سوق الأغذية).

إن البنين والرجال يستطيعون أن يختاروا تصفيفه شعر غريبة لو أرادوا: يستطيعون أن يتركوا شعرهم ليطول إلى أكتافهم وربطه للخلف، يتركونه طويلاً وغير ممشط، أو حلقه تماماً. وإن فعلوا فإن هناك فرصة جيدة لقول بعض الناس -حتى أمهاتهم- بأنهم سيبدون بشكل أفضل لو مشطوه بطريقة أخرى. ولكن معظم الرجال يتبنون طريقة تصفيف خاصة حيث لا تلفت الانتباه ولا التأويل. كما فعل كل الرجال الذين كنت أنظر إليهم ذلك اليوم. وهذه نعمة ورفاهية لا تمتلكها البنات والنساء؛

obeikan.com

ولهذا فعلى الأرجح أنه مهما صففنا، وبأي طريقة مشطنا شعرنا، فإن الآخرين ـ حتى أمهاتنا وبناتنا عندما يكبرن ـ سيعتقدن بأنه كانت هناك وسيلة أفضل للتسريح والتصفيف.

عبرت ميغان عن كره أمها لشعرها بمزاج كالتالي: «إنه ليس كما لو أنها اختصاصية في الشعر وعندها الأجوبة حول كيفية الطرق التي يجب أن يكون الشعر عليها». ولكن صورة أم ميغان وهي تحاول أن ترتب شعرها بالطريقة الصحيحة، بينما تنظر للمرآة يلقي الضوء على سبب آخر يجعل الأمهات يملن إلى انتقاد شعر بناتهن، وهو تعريض بناتهن للتدقيق نفسه الذي خضعن له أنفسهن. إن نظر أم ميغان إلى وجه ابنتها بالطريقة نفسها التي تنظر بها إلى المرآة يوحي بأنها ترى في ابنتها انعكاساً لصورتها. وهذا يفسر انتقاد كثير من الأمهات لمظهر بناتهن وسبب تمني البنات بأن تتوقف أمهاتهن عن هذا. إن إحساسنا بأن أمهاتنا يرين انعكاساً لأنفسهن من خلالنا؛ يصطدم مع أمانينا بأن يرانا الآخرون كأنفسنا. وفي الوقت نفسه فإن تدقيق أمهاتنا يبدو أنه يؤكد على أسوأ مخاوفنا: وهي أننا ناقصون على نحو مهلك.

عين الأم: العدسة المكبرة العظيمة

لوقت طويل كانت أمي تركز انتباهها بجنون على خطأ وجدته في منظري. بدأ الموضوع عندما عرضت عليها صورة مقربة لوجهي. حدقت في الصورة بحدة وشدة وقالت: «انظري.. هذه العين أصغر». ثم التفتت لكي تتفحص عيني. «نعم إنها كذلك». قررت هذا وقد بدت مهتمة: إن العين اليسرى أصغر. من المستحسن أن تذهبي للطبيب ليلقي نظرة عليها. إنه من الممكن أن يكون إشارة إلى مرض الغدة الدرقية. نظرت مرة أخرى

openkhan.com

إلى الصورة وقد استطعت رؤية هذا أيضاً. إنه الوجه نفسه الذي طالما امتلكت، ولكن عيني اليسرى قد أصبحت أكثر ملامحي بروزاً. لمدة طويلة بعد ذلك في كل مرة أنظر فيها للمرآة كانت عيني اليسرى تبدو كما لو أنها في منتصف وجهي. وخلال هذه المدة كل مرة زرت فيها أمي كانت تمسك بذقني وتتفحص وجهي: «إن هذه العين هي حقاً أصغر. هل تحدثت إلى طبيب بخصوص هذا الموضوع؟» كيف لي أن لا ألاحظ هذا الخطأ لكل هذه السنين؟ أو هل هو شيء جديد، أعراض لمرض ربما؟ لقد سألت الطبيب الذي بدوره سخر من سؤالي، وأكد لي أن غدتي الدرقية بخير ـ وعيني أيضاً. وفي آخر الأمر انتهى موسم عيني الصغيرة وعيني اليسرى مازالت أصغر، ولكنها توقفت عن كونها عائقاً كبيراً في حياتي. فقط عندما ركزت عليها أمي كانت قد أصبحت عيباً كبيراً. قد ظهرت وتطورت وأصبحت أكثر بروزاً لأنها كانت محط تركيز واهتمام أمي. إن تحديق الأم كان أشبة بعدسة مكبرة بين أشعة الشمس واللهب. إنها تركز أشعة النقص على لهيب وشوق ابنتها لاستحسان أمها لها. والنتيجة حريق هائل.

بالنسبة لموضوع عيني اليسرى، فإن اهتمام أمي كان مفرطاً إن لم يكن مجنوناً. أنا بالتأكيد شعرت بهذا. ولكن ما رأيته أنا كانتقاد لمظهري كان دون شك اهتماماً وقلقاً من أمي على صحتي. ومن الممكن ـ إن لم يكن في هذه المرة في مرات أخرى ـ أن أعاني فعلاً من مرض دقيق للغاية لم يكشفه إلا تفحص أمي القريب.

عندما أحاول أن أرى هذا من وجهة نظر أمي، أذكر أنني في وقت ما كنت أنا التي أحمل عدسة المكبر وقد كانت أمي الشخص الذي تدربت عليه.

كثير من البنات وخصوصاً في أيام المراهقة يخضعن أمهاتهن لتدقيق قاس، قالت أم بكآبة: «إن ابنتي لا تحبني كثيراً. إنها تعتقد أنني بشعة، سمينة و غبية». لقد شعرت بالأسف لهذه الأم ولكن جملتها جعلتني أشعر بالإثم أيضا، لأنها ذكرتني بموقفي تجاه أمي عندما كنت بنفس عمر ابنتها. ولحسن الحظ فإن أمي عاشت لمدة طويلة واستطاعت أن تدير الطاولة باتجاهي. في سنوات مراهقتي كنت أنظر إلى بطن أمي المتدلي باشمئزاز، فقد كنت أقارن بينه وبين بطني المسطح باعتداد يجمع بين الارتياح والرضا النفسي، ومع أنني لم أفعل أي شيء للإبقاء عليه على هذا النحو. كنت فقط فتاه نحيفة بالطبيعة. وقد علمت أن أمي كانت نحيلة عندما كانت في عمري، ولطالما سمعت أنها كانت تزن 99 رطلاً عندما تزوجت، ولكن هذه الحقيقة لم تؤثر في الطريقة التي نظرت فيها إليها. وفي وقت لاحق في الحياة تغير جسمي كما تغير جسم أمي. وقد راقبت برعب كيف بدأ بطني بالبروز والانتفاخ. وخلال زيارة لوالدي وهما في آخر العمر وقفت بجانب أمي بينما كانت تجلس في كرسيها، والذي يعني أن منتصف جسمي كان على مستوى عينيها. نخست بطني بسبابتها، وقالت: «اسحبي بطنك إلى الداخل.» لقد تفاجأت تماماً وتألمت، ولكني شعرت أيضاً أنني كنت أستحق هذا، كنت أدفع ثمن عين الانتقاد التي طالما نظرت بها إلى أمي في سنين مراهقتي.

لماذا كنت تمشطين شعرها؟

انتبهت لنفسي في موقف آخر وأنا أعامل أمي بعين الانتقاد نفسها التي عاملتني بها. ولآخذ نظرة خاطفة على حافز أمي لفعل هذا. وفي

غضون كتابة هذا الكتاب، سألت أختي: إذا كانت أمي قد انتقدت شعرها؟ فقالت: «آه.. نعم لطالما قالت إنه قصير للغاية». فقلت: «لقد كانت دائماً تقول لي: إنه طويل جداً!» وعلى هذا ضحكنا سوية. ثم قالت أختي: «إن الشيء المضحك أن شعرها لم يبدُ جيداً أبداً. هل تتذكرين كيف كان يقف لجهة واحدة؟» فقلت: «آه أجل..» وضحكنا زيادة. لكني أدركت أني قد قلت لأمي أحياناً إن شعرها لا يبدو جميلاً. وفي آخر سنين عمرها كان أول ما أفعله عند زيارتها هو تمشيط شعرها وترتيبه. وقد كانت تفعل أختي الشيء نفسه. أدركت حينها أنني كنت أقدر هذه الأوقات كثيراً، فقد كنت أشعر بأن حبي لأمي يكبر وأنا أقوم بتمشيطه وتمليسه. كان هناك شعوراً حميماً للغاية خلال تناولي لشعرها، شعوراً محركاً يجعلني أشعر بثقتها.

وهذه الذكرى جعلتني أفهم السبب الذي يجعل كثيراً من الأمهات والبنات يتفحصن منظر بعضهن بهذه القوة. في جانب منه يبدو كتعبير عن قربنا من بعضنا، حيث إننا نستطيع لمس أجساد بعضنا والتكلم عنها، والتدقيق بها بحثاً عن الأخطاء بطريقة لا نفعلها مع أحد ليس بقريب. إن اللمس يلعب دوراً كبيراً في المودة والحب بين الأم وطفلها، و لمس الشعر هو جزء من هذه المودة. قد عاشت جدتي معنا إلى أن أصبحت أنا في السابعة من العمر. وعندما توفيت كانت أقرب الذكريات لنفسي هي الأوقات التي كانت تسمح لي ولأختي أن نفك لفة شعرها ونقوم بتمشيط شعرها الطويل والخفيف.

إن اللعب بالشعر طريقة معتادة بين البنات لإظهار المودة كصديقات. في دراسة حول خلاف الفتيات في سن المتوسطة، قامت عالمة الاجتماع دونا إيدير بسرد مناقشة قصيرة انفجرت بين بنات الفصل السادس اللاتي

كن صديقات عزيزات. وكان موضوع الخلاف هو أهمية ومعنى تمشيط شعر فتاه أخرى:

تامي تقول لهايدي : لماذا كنت تسرحين شعر بيكي بالأمس؟ ـ بيكي صديقة ثالثة ـ

- هايدي: لم أفعل.

- تامي: بلى كنت تفعلين.

- هايدي: لا لم أكن أفعل هذا.

- تامي: لقد كنت تمررين أصابعك في خصلات شعرها.

- هايدي: لم أكن أفعل.

- تامي: بلى كنت تفعلين.

- هايدي: لم أفعل يمكنك سؤال بيكي.

(تدخل بيكي إلى المكان)

- بيكي، هل كنت أمشط شعرك بالأمس؟

(تهز بيكي رأسها بالنفي).

- هل رأيت! ماذا قلت لك؟

- تامي: إذاً من التي كنت تمشطين شعرها؟

- هايدي: لم أكن أمشط شعر أحد.

obeikan.com

- تامي: من الذي كان يمشط شعر بيكي؟

- هايدي: لا أدري. (توقف النقاش)

إن كل هذا الحديث عن «مَنْ يمشط شعر من؟» قد يبدو سخيفاً للغاية، حتى تدرك أن الرهان هنا يدور حول أعز ما تملكه هذه الفتيات من بضاعة في حياتهن الاجتماعية. حبال الصداقة التي يقضي فيها الفتيات في هذا العمر (وربما في كل الأعمار) بالتفاوض الدائم. عندما اتهمت تامي هايدي بأنها مشطت شعر بنت أخرى، فهي قد اتهمتها بخيانة الصداقة، فتسريح شعر باكي يعني أنها كانت قد اقتربت منها بالقدر غير المرغوب فيه. «إذا كنا أعز الأصدقاء فأنا الوحيدة فقط التي تستطيعين تمشيط شعرها.» بالنسبة لهؤلاء الفتيات فإن تمشيط شعر الأخرى يعمل تماماً كما يعمل التنظيف والعناية بالنسبة للقرود إذ لم يكن أكثر. إنها تعكس وتعزز حبال الاتحاد والقرابة.

خطرت على بالي دراسة إدير حول فتيات المتوسطة، عندما أخبرتني امرأة تدعى آيفي عن زيارة قامت بها لأمها. آيفي كانت منزعجة من تعليق أمها على طريقة تسريحها لشعرها، وأنها تحتاج إلى تحسين، وركضت لجلب الفرشاة وقليل من منعم الشعر لتحسينه في الحال. ولكن وفي الزيارة نفسها أدركت آيفي أنهت كانت تنتقد شعر أمها، وقد عرضت عليها تسريحه وتعديله. هي أيضاً استخدمت منعم الشعر، ثم قامت بلف شعر أمها الخفيف والأبيض. وعندما غادرت شعرت آيفي بالذنب لأن منظر شعر أمها الجديد بدا سميكاً وقاسياً. ولكن عندما تقابلتا مرة أخرى أخبرتها أمها كم كانت سعيدة لأنهما قد قاما بتمشيط شعور بعضهن. حتى إن الأم أخبرت أعز صديقاتها بذاك الموقف.

obeikan.com

أتساءل لماذا رفضت آيفي أن تدع أمها تعبث بشعرها؟ وبعد مدة عرضت على أمها تسريح شعرها. ولماذا كانت أمها سعيدة، حتى وإن النتيجة كانت أقل من جيدة.

أعتقد أن السبب هو القرب، فعندما تكبر البنت فربما قد لا تريد القرب الجسدي الذي كانت تحصل عليه من أمها عندما كانت طفلة، وربما أمها أصبحت تتشوق للإمساك بهذا القرب. إنني أؤمن(وأتمنى) أن أمي شعرت بأن اهتمامي بشعرها كان يعكس ويعزز من قوة قرابتنا. ولكنني أراهن بأن يكون هذا هو قصدها عندما أبدت اهتمامها بشعري منذ البداية.

الحكم المخيف: الأم السيئة

بالرغم من أن ترتيب شعر أمي كان تعبيراً عن قربنا من بعضنا، فإنني في الحقيقة كنت انتقادية لشعرها، وفي المقابل كانت هي أيضاً. وهناك أيضاً سبب آخر يجعل البنات والأمهات يطلقن عين النقد على منظر بعضهن، وهو أن كليهما ترى أن الأخرى تمثلها أمام العالم. والنساء يحكم عليهن من خلال منظرهن بشكل ساحق. وهذا مهم للغاية بالنسبة للأمهات، لأنه ما إن تصبح المرأة أُمًّا حتى تتغير قيمها وتقديراتها، ويتمحور اهتمامها بشكل كبير في كيفية إتمام هذا الدور في عينيها وعين العالم. ومظهر الأولاد هو واحد من مقاييس كثيرة يحكم على الأم من خلالها. وهذا صحيح بغض النظر عن مدى نجاحها في حقول أخرى. وفي الحقيقة إذا كانت الأم ناجحة في ميادين أخرى فإن حاجتها إلى إثبات نجاحها في ميدان الأمومة يكون مهمًا للغاية، لأن كثيراً من الناس يتوقعون

مباشرة تقصيرها في واجبات الأمومة. عندما تعين شركة كبيرة مديراً جديداً كم مرة نسمع فيها أسئلة حول تأثر الوظيفة الأبوية لهذا المدير؟ تقريبا لا يحدث أبداً، إلا إذا كان هذا المدير امرأة.

آندريا جونغ أخذت رئاسة شركة أيفون للتجميل في عام 1999م. وفي عام 2004م للميلاد نقلت عنها مجلة «نيوز وييك» جملتها المفاجئة: «لم أكن أتوقع أبداً أن تكون عدسة المكبر على كيفية تربيتي لأولادي». ثم أكد المقال للقراء أن عدسة المكبر قد بينت أن آندريا لا يفوتها أهم مناسبات في حياة أطفالها. وهذا مثال آخر لمواقف كهذه فبعد نشر مارغريت ميد لكتابها الذي كان يدور حول والديها بعنوان «من خلال عين بنت». قالت مارغريت المتخصصة بعلم الإنسان - أنها طالما سمعت تعليقات حول إهمالها لابنتها، بينما كانت تسعى لبناء مهنتها كواحدة من أفضل العلماء المتخصصين في علوم الإنسان في وقتها. ولكن لم يسأل أحد عن سبب إهمال والد مارغريت لها في طفولتها، وتركه مسؤولياته الأبوية عند تركه للعائلة!! وبتقديم هذا المستوى من التدقيق فمن غير المفاجئ أنه حالما يكون للمرأة طفل فإن شعورها بأنها شخص جدير وكفؤ يعتمد على الابتعاد عن هذا الوصف المخيف «الأم السيئة»، ولتتمكن من هذا فهي تحتاج إلى رؤية أولادها ناجحين وسعيدين وعلى هيئة حسنة. لأنه لو كان هناك أي خطأ فستكون هي الملامة.

إلى مرحلة قريبة كان الاختصاصيون يلومون الأمهات على حالات يعاني منها أطفالهن ولكننا نعلم الآن أنها حالات لها أسباب بيولوجية. في مرحلة الخمسينات والستينات على سبيل المثال كان الناس يعتقدون بأن مرض التوحد يأتي من نقص الحب والعطف من جهة الأم والذي عرف بتلك المرحلة باسم « الأم الثلاجة» نظرية التوحد.

obeikan.com

ولكننا نعرف الآن بأن التوحد له أصل بيولوجي، ومن المرعب معرفة أنه زيادة على اليأس الذي شعرت فيه الأمهات تجاه إعاقة أبنائهن؛ فإنهن حملن عبء هذه الإعاقة دون أساس لكل هذه الاتهامات وأنهن كن السبب بمعاناة أطفالهن. ومازال في وقتنا الآن ميل شاسع إلى تحميل الأم المسؤولية ـ وليس الأب ـ حيث تحمل الأم مسؤولية كل تعبير أو رأي أو اعتقاد يعتقد به هذا الطفل (أو عندما يصبح هذا الطفل شخصاً راشداً). والأطفال أنفسهم يميلون إلى حمل هذه النظريات. فواحدة من النساء علقت أنها مازالت تلوم أمها لأنها بعثتها إلى مخيم صيفي عندما كانت في الخامسة. ومن خلال استعادتها لأحداث الماضي أدركت أنه من الأكيد أن والدها كان له أثر كبير في هذا القرار أيضاً.

إذا كانت سوزان موشارت على حق في كتابها «قناع الأمومة» فإن كل أم قد عانت من لحظات شعرت خلالها أن الاعتناء وحاجة الصغار الملحة هي شعور غامر وساحق لدرجة أنها فقدت صبرها وتصرفت بطرق قد ندمت عليها لاحقاً. وأن شعورها بالذنب والخجل يزداد عمقاً بمعرفة أنها ليست وحيدة في هذه الخطيئة.

ولكل هذه الأسباب فإن كثيراً من الأمهات يشعرن بالاكتفاء والرضا بالعمل الذي يقمن به كأمهات. ظهر هذا واضحًا خلال تعليق سمعته من امرأة تكتب في زاوية في جريدة مدينتها. فقالت: إنها تميل لعدم الاهتمام بانتقاد الآخرين لكتاباتها. إنها تعلم بأن القراء ربما لا يوافقون على أخذها لهذه الموقع لكنها إذا قامت بدورها على أفضل وجه فإن ضميرها سيكون خاليًا من أي شوائب. ولكن أي انتقاد مباشر أو تلميح إلى دورها كأم فإنه يصل إلى الصميم.وفي هذا الحقل لا تستطيع أن تكون متأكدة أبدًا.

«ضعي قليلا من أحمر الشفاه»

إنه لشيء مثير للسخرية أن تكون عين الأم مشحوذة بالخوف من كونها لم تكن بالأم الجيدة، في حين تستطيع تمرير عين النقد نفسها إلى ابنتها عندما تصبح أماً. ومرة أخرى فإن الموضوع هو الشعر.

قالت الجدة -متحدثة عن حفيدتها وهي تعدو عبر الغرفة ممتلئة بالنشاط واللعب-: «سوف تبدو أجمل بكثير لو أنها فقط مشطت شعرها». انتصبت جيل بخشونة لأنها تذكرت كيف كانت أمها لا توافق على مظهرها عندما كانت صغيرة. جيل كانت توصف «بالبنت الصبي» منذ البداية، فهي لم تشارك أمها اهتمامها بالمظهر أبداً. كانت أمها دائمًا تحاول تمشيط شعرها، ثم عندما كبرت باتت تطلب منها أن تلبس لباس البنات العادي والتقليدي وأن تستخدم بعضًا من أدوات التجميل. «ضعي قليلا من أحمر الشفاه» كانت هذه واحدة من جملها. وسماع اللوم نفسه الآن لابنتها يعيد للذاكرة الاستياء العاجز والضعيف الذي طالما شعرت به جيل وهي طفلة.

إن سماع تعليقات أمها على مظهر ابنتها ذكرها بشعورها عندما لم تتقبل أمها مظهرها الصبياني. وأنها كانت تفضل الحصول على ابنة عادية وأكثر نعومة. جيل تمنت لو أن أمها ركزت على ما هو مهم وعظيم في داخلها، وليس على شكلها. كأن تركز على ما تفعل كعملها التطوعي ونجاحها المهني... والآن على طريقة تربيتها.

بالرغم من أنه لا يوجد سبب يجعلنا نفكر بأن أمها تعني كلامها بهذه الطريقة، ولكن جيل تسمع في كلام أمها سبق امتلاك للمظهر، والتلميح

obeikan.com

إلى أنها لا تقدر إنجازاتها الأخرى. لذا عندما تقول أم جيل بأن ابنتها سوف تبدو أجمل لو مشطت شعرها فإن جيل تتكمش خوفا من خيبة الأمل المزدوجة فأولاً: إن أمها تبدو مهتمة بشعر الطفلة الصغيرة أكثر من اهتمامها وتقبلها لشخصيتها، وهو الشيء الذي تعتبره جيل مهمًا جداً وثانياً: يبدو أنها تلمح إلى أن جيل قد أخفقت في كونها أماً.

إن مظهر الأطفال ليس الشيء الوحيد الذي تشعر كثير من النساء بأن أمهاتهن يرفضنه ويعلقن عليه، ولكن أيضاً (المعنى المتضمن) حول تربيتهن لأطفالهن.

فمثلاً جريس لا تحدد فقط الوقت الذي تقضيه مع أمها، بل أيضًا تحدد المواضيع التي يتحدثن فيها. بدأت بنت جريس بالعمل بوظيفة صغيرة بينما تحاول التخطيط لحياتها. وفي كل مرة تزور جدتها تتساءل الجدة:» متى سوف تستقر هذه الفتاة؟» و«هل ستبدد حياتها سدى بهذا الشكل؟» وهذا لا يساعد جريس ولا ابنتها. إنه من الطبيعي أن تعتقد الجدة أنها تناصر ابنتها وتتشاركان في موقف، وهي تتوقع أن تتفق معها في الرأي. وبالطبع فإن جريس تتمنى أن ترى ابنتها وهي تجد المكان المناسب لها في هذا العالم. ولكن جريس تضع نفسها مع ابنتها، لذا فأي استنكار أو رفض للفتاة الصغيرة هو تلميح لرفضها هي أيضاً. إن سماع طريقة النبذ والصرف التي تكلمت بها الجدة عن الحفيدة آلم جريس، ولتتجنب هذا الألم؛ فإنها تلتزم وتتأكد من عدم ذكر ابنتها أمام والدتها. وهذا الاضطرار إلى تجنب الحديث عن موضوع غاية في الأهمية هو الذي يبني الحواجز بينهن.

انتظار الموافقة

روسو يونغ في الثانية والعشرين من العمر تعمل صانعة أفلام، قد انتهت لتوها من العمل على فيلمها. علقت أم روسو على الفيلم قائلة: «إنني لا أعتقد أنهم يحبونه!» تنهدت روسو وقالت: «هل تتوقفين عن الاهتمام بم يفكرون؟» لم استطع التوقف عن الابتسام وأنا أقرأ هذا. إذ كنت متفاجأة من أن موافقة واستحسان الأم مازال ثمينًا بالنسبة لروسو، بالرغم من أنها في الثانية والعشرين، إذًا ماذا ستقول لو عرفت أنه سيكون كذلك وهي في الثانية والأربعين والثانية والستين؟، هذا إذا كانت محظوظة لأن تكون مازالت أمها على قيد الحياة وهي في هذا العمر. حتى بعد ذهاب أمها فإنها على الأرجح سوف تفكر تلقائيًا عندما تصنع فيلما: «يا ترى ماذا سيكون رأي أمي فيه؟»

إن البنت تود أن تشعر بأن أمها فخورة بها، وأن ترضى عنها. لذا فأي دلالة على أن هذا الرضا أقل من « كامل» سيكون مؤلماً. والألم يتحول بسرعة إلى غضب. ولكن كيف تستطيع الأم (أو أي أحد) أن تفكر بأن ابنتها كاملة، وأنها تقوم بكل شيء على أكمل وجه في كل لحظة؟ إن كل إنسان يمكنه أن يتحسن في بعض النواحي وفي بعض الأوقات. والناس الأقرب لنا هم الأكثر عرضة لرؤية نواحي النقص فينا، وهذا يعني أنه كلما كانت الأم أقرب لابنتها رأت فرصًا للتحسن، لأنها تريد أن ترى أمورها تتم بطريقة جيدة. ولكن أي شيء تقوله لابنتها يجلب الانتباه، ويفهم على أنه ضعف، وهذا عكس الرضا.

إذاً فقد كان أي تلميح بعدم الرضا يغضب البنت، إذًا كم هو مزعج للأم بأن ترى بوضوح ما الذي على ابنتها فعله، وما الذي عليها تجنبه.

obeikan.com

إحدى السيدات أخبرتني بأنها تعلمت الابتعاد عن إسداء النصائح لابنتها البالغة، ومع ذلك فهي تجد ذلك صعبًا للغاية، لأنها كما قالت: «أنا لدي حكمة أفضل من الكثيرين الذين تسمع لهم ابنتي». وسواء كان حكم الأم صحيحًا أم لا، فهي تعتقد بأنه صحيح. وهذا مصدر للإحباط.

وفي هذا الصراع المستمر بين الأمهات والبنات، فإن كليهما يرى قوة الأخرى ويتغاضى عنها. يكون للبنت ردة فعل سريعة تجاه الرضا أو عدمه لأن أمها تلوح كعملاق. وحقيقة أن رأي الأم مهم جدًا بالنسبة للبنت ويعطي الأم قوة كبيرة. ولكن الأم غالبًا تداوم على محاولة التأثير في ابنتها، وتحديدًا لأنها لا تمتلك السلطة التي كانت تمتلكها عندما كان أطفالها صغارًا في الوقت الذي كانت تستطيع توجيه أي تهديدٍ لهم. وما أن يكبر أطفالها فهي لا تستطيع التخلص من المخاطر بنفسها فعليها إجبارهم على ذلك. إن تكرارها المستمر يأتي نتيجة من شعورها بالضعف لأنها لا تستطيع التحدث عن هذه المخاطر بطريقة أخرى. وحيثما ترى الابنة القوة فإن الأم تشعر بعدم القوة.

سألتني إحدى السيدات خلال برنامجي على المذياع: كيف أستطيع إخبار ابنتي التي تبلغ الخامسة والثلاثين أن عليها إنقاص وزنها بخمسةَ عشر رطلاً؟» وأجبتها: «إنك لا تستطيعين». وزدت: «إنه ليس عليك فعل هذا. إذا كنت تعتقدين أن على ابنتك فقدان خمسة عشر رطلاً، فهي على الأرجح تعتقد أن عليها فقدان عشرين. ليس هناك أي شيء تقولينه سيجعلها تحاول بقوة أكثر لفقدان الوزن، هو فقط سيجعلها تشعر بالاستياء أكثر حيال الوزن الذي تود فقدانه».

o b e i k a n . c o m

أنا لا أشك أبدًا أنه من الصعب على المرأة المتصلة أن تحجم نفسها من التعليق على وزن ابنتها الزائد، خصوصًا مع كل الحديث الذي يدور حولنا هذه الأيام حول المخاطر الصحية للوزن الزائد. إن هناك ضرورة ملحة عندما تدرك الأم (أو البنت مستقبلاً) مخاطر الصحة والسلامة.

انتبهي لخطواتك

سالي شعرت أن أمها تنتقد زوجها عندما ذكرتهم مع كل زيارة أن عليه قطع شجرة الدردار الميتة في ساحة المنزل، خشية أن تقع وتصيب أحدًا بمكروه. (في آخر الأمر وقعت الشجرة ولكنها لم تصب أحدًا). وأن عليه تغيير العتبة المهترية خوفا من أن تزل قدم أحدهم. (في الحقيقة لم يحدث هذا أبدًا). بالطبع أي أحد سيعتبر هذه التذكيرات المستمرة مزعجة. ولكن تخيل القلق الذي تحملته أم سالي في كل مرة ترى فيها هذه الأخطار قريبة من الأشخاص الذين تحبهم وتخشى على سلامتهم. وخيبة الأمل التي شعرت بها لأنهم لم يباشروا بالتصليح البسيط لمنع الخطر.

إن عدم تفهم البنات لعمق قلق أمهاتهن على صحتهن وسلامتهن ربما يتضح عندما تنقلب الصورة وتكبر الأمهات في السن وترفض تقبل نصيحة البنات. وتنقلب وظيفة الحديث.

انزعجت لورين عندما أصرت أمها - ذات الأربعة والثمانين عامًا - على السفر وحيدة لتقضي العطلة مع ابنتها التي تعيش في نورث كارولينا. كان هذا فقط بعد بضعة أشهر من قيام الأم بعملية جراحية كبيرة للقلب. وعندما أصبح واضحًا أنها لن تستطيع أن تقنع أمها بالإقلاع عن هذه الفكرة قالت لها: «كل ما أطلبه منك الآن أرجوك... أن تشتري هاتفًا

جوالاً». ولكن الأم لم تفعل. استمرت لورين بالحديث: «حتى أني سمعت نفسي أقول لأمي: أنني لا أود نقاش هذا الموضوع». وردت الأم: «لن تستطيعي إجباري على فعل هذا». وربما يكون هناك عبرة للطرفين في النهاية السعيدة. فقد قامت أم لورين بالرحلة بدون حوادث وتعلمت كيف تحب الهاتف الجوال الذي قد اشترته لورين هدية لأمها.

ونهاية أقل سعادة تتلخص في تجربة ترودي التي شجعت أمها لتأخذ الكالسيوم وأدوية أخرى مقوية للعظام، وأن تحذرها خوفًا من أن تقع وتتعرض للكسر كحال كثير من النساء في سنها. ولكن أمها تجاهلت نصيحة ابنتها مقتنعة بأن عظامها قوية. تخيل فزعة ترودي عندما وقعت أمها وكسرت وركها بينما كانت تحمل طاولة صغيرة وتنزل الدرج. إن كثيراً من المسنين ـ تمامًا كما صغار السن ـ لا يشعرون بأنهم عرضة للخطر وليس هناك شيء ممكن قوله لتغيير رأيهم. تمامًا كما أنه لم تتغير قدرة الصغار على الفهم بسبب لوم ونصح أمهاتهم.

ليس كل القلق والاهتمام خطيراً وملحاً كما هو جلي هنا كالسلامة والصحة. ولكن في كثير من الأحوال فإن الأم (أو البنت أو في حالة الكارثة ـ أم الزوج ـ) ترى أن هذه التحسينات مطلوبة في بيت الابنة. في الداخل والخارج.

مثلاً روبيرتا انكمشت عندما حدقت أمها في فرن الغاز في مطبخها رافعة الوعاء الحامي للشواية لترى هل تم تنظيف فتات الخبز من تحتها ـ والذي بالطبع لم يكن قد نظف.

في حالة بولا فإن الجدال كان حول تزيين المنزل، وصفت زيارة أمها لي: «دخلت إلى غرفة الجلوس الرئيسة ولم يكن أحد بالداخل ولكن عين

الصقر تطوف من حولنا، فقالت: «هل تحتاجين مساعدة في الزينات؟» بولا رأت هذا على أنه تطور، لأن أمها في الماضي كانت إذا دخلت غرفة الجلوس تبدأ بتغيير الأثاث بنفسها. وتعلمها كيف عليها تغيير الأشياء. ومنذ بضع سنين حدث بيننا انفجار. فقد كنت أثرثر، وأخبرتها بكل الأوقات التي قد أزعجتني بها بفعل أو قول. انزعجت أمي كثيراً مما قلت وقالت: «حسنا.. الآن لن أتفوه بشيء». وكانت هناك نظرة عميقة على وجهها. بولا اعتقدت أنه مر وقت طويل منذ ذاك الانفجار، وعندما سألتها أمها هل تودين المساعدة كان ذلك مؤلماً، ولكن أقل من أن تقوم أمها بتحريك الأثاث بنفسها. بولا كانت فخورة بنفسها عندما وضعت حداً سريعاً من خلال الرد ببساطة: «كلا شكراً». لأن تزيين المنزل هو تماماً كتسريح الشعر وطريقة اللبس دائمة التغيير. هناك أساليب كثيرة تتبعها النساء في هذه الميادين. فالمرأة المخلصة لمبادئ فريقها النبيل سوف تتبع أساليب مختلفة عن أساليب أمها ومستقبلاً (مختلفة عن أساليب ابنتها). لذلك تجد كثيراً من النساء أنفسهن في منتصف العمر وسط محنة، حيث إنهن ينتقدن بناتهن الصغيرات أو الكبيرات، وينتقدن أيضاً أمهاتهن الكبيرات في السن.

مثلاً: «مارا» فنانة، وتملك نظرة مقاومة وعداوة للحياة، فعندما كانت طالبة قررت هي وزميلاتها ألا يقمن بحلاقة أو تنظيف أرجلهن، فقط ليبرهن ويثبتن حريتهن واستقلالهن من مطالب المجتمع الملحة. وبعد مدة طويلة كانت قد أبقت على هذه العادة رغم توقفها عن التفكير بهذه الطريقة. ولكن أمها لم ترض أبداً عن هذا، بالنسبة لها فإن النساء اللاتي لم يقمن بتنظيف الشعر من أجسادهن كن ببساطة غير جميلات، تجاوزن

البشاعة. لذا رفضت أم مارا أن تأخذها إلى مسبح النساء الخاص لأنها ستكون محرجة من ابنتها. وهذا لم يكن كل شيء، فمارا أيضاً كانت لها مشكلة مع ابنتها، وابنتها بدورها لا تود الظهور مع أمها.

تحول سريع

علاقة الأمهات بالبنات علاقة مليئة بالمخاطر، إنها أشبه كما لو أنه كان للأمهات غدد تحسين نشطة دائماً وللبنات غدد رفض نشطة أيضاً. إن البنات في الحقيقة يزدن من ردة الفعل لأي إشارة دقيقة أو متخيلة لعدم رضا الأمهات عنهن. والأمهات في المقابل يزدن من محاولة التأثير على البنات، وهذا يشمل مساعدتهن على التحسن. ولهذا تظهر الصراعات من لا شيء. وهنا مثال حول حدوث أمور كهذه:

فمنذ ذهاب برندا إلى الجامعة وهي تحظى بعلاقة جيدة مع أمها، فقد نمت بينهما علاقة صداقة. ولكن مازالت ردة فعل برندا سريعة وقوية عند شعورها بعدم رضا أمها. وهذا يمكنه أن يحول الحوار الودي والعادي إلى حوار شائك. كما الوردة التي تكشف عن شوكها فجأة.

في يوم من الأيام وبينما الأم وابنتها تتشاركان في حوار سريع من النوع الذي يعبر عن العلاقة ويوطدها بين النساء، وكان الحوار عن الحياة والصداقة. وفي خلال الحوار اشتكت برندا من صديقتها ماري وقد وافقتها أمها الرأي ـ محاولة أن تساندها ـ ثم قالت برندا: «إن ماري تحبك كثيراً. أنا لم أقابل والديها أبدًا». وبدا رد أمها بريئاً للغاية: «نعم إن هذا غريب، فهي تبدو كما لو أنها لا تريد أن تعرفنا عليهم. أستطيع أن أدعو ماري ووالديها للشواء». وفجأة تغيرت نغمة الصوت، وأصبحت برندا منزعجة: «حسنا يا أمي.. ـ قالت هذا وبصوتها شيء من الحدة ـ أعتقد

أن هذا سيكون غريبًا بعض الشيء، فماري ستشعر بالإهانة بدعوى كهذه، فهي في الثانية والعشرين».

ماذا حدث هنا؟ من أين جاءت نغمة الانزعاج هذه؟ ماذا قالت الأم حتى تفهم البنت أن الأم كانت تحاول إهانة صديقتها؟ إن برندا كانت تشتكي من صديقتها ماري نعم، ولكنها عندما أكملت الحديث وقالت: إنها لم تقابل والدي ماري أبداً» فهي قد انتهت من الشكوى وانتقلت إلى موضوع آخر. ولكن أمها كانت مازالت في الموضوع، لذا قد فسرت ملاحظة برندا على أنها شكوى إضافية. ولكن تعليق الأم الآتي كان يعني المساندة لشكوى ابنتها، فلمحت الأم:«نعم... ماذا بها صديقتك؟ لماذا لم تجعلك تقابلي والديها إلى الآن؟ ماذا تخبئ؟» بدت برندا هنا مشوشة، فهي تسمع الانتقاد الجديد عن صديقتها ماري (التي لم تود إظهارها للعيان) على أنه انتقاد لا مباشر لنفسها. إذا كان لديها صديقة تخبئ شيئًا ما منها- إذا لابد أن هناك شيئاً خطأً في برندا. لذا ردت بأنه لا بد أن يكون هناك خطأ في أمها لتفكيرها بترتيب لقاء بينهم.

إن البنت ـ ذات الثانية والعشرين عاما ـ تنظر لنفسها على أنها كبيرة بما فيه الكفاية، ولهذا شعرت بالإهانة. مسكينة الأم فقد كانت تحاول مساندة ابنتها والوقوف إلى جانبها، ووجدت نفسها تنتقد فقط لأن ابنتها أخطأت فهم نواياها الطيبة.

كلمات بسيطة

ربما تكون حساسية برندا زائدة من انتقاد أمها، لأنها قد أصبحت مستقلة حديثاً. وصداقتها مع أمها مقارنة بعلاقة الأم وابنتها التي كانت

بينهن مازالت جديدة. ولكن برندا ليست منزعجة بالضرورة من سماع عدم الرضا والرفض في التلميحات أو في المعاني الخفية من كلام أمها أكثر من الكلمات نفسها. كثير من النساء يخبرنني أن ما يجدنه محبطاً في كلام أمهاتهن هو عادتهن في المراوغة: «إنها لا تقول أبداً ما تعنيه». ولكني عندما سألت عن مثال لهذا كن دائماً تقريباً يربطن بين أشياء قد فهمت كطريقة غير مباشرة للنقد. وأنا أتوقع أن المراوغة هي التي تفور في الصدر أكثر من النقد نفسه.إن الدراسة العرضية للملاحظة أو التعليق تبدو على أنها تناقض الهدف من النقد وتفشل في الاختفاء. فإن مكر النقد عادة يأتي متنكراً في جلد النعجة البريئة للمراوغة.

وبمعرفة عمق شوق البنت لرضا أمها، إضافة إلى خبرتهم الطويلة في الحديث مع بعضهن، فإنه قد يبدو من الغريب أنهن يتكلمن مع بعضهن بنظام مشفّر. تخيلي أماً تقوم بزيارة ابنتها وبمجرد دخولها للمنزل تبدأ بالنقد: «إنه يبدو كما لو أن لا أحد يسكن هنا». هل هذا نقد؟ ومن وجهة نظر شخص غريب فإنه قد يبدو نقداً. ولكن بالنسبة للمرأة التي أخبرتني عن هذا المشهد فقد كان في الحقيقة مدحاً لنظافة المنزل وتدبيره. وفي ذلك الوقت شعرت الابنة بالسرور لأنها كسبت رضا أمها. وبنفس النموذج فإن أكثر الجمل براءة يمكن أن تفهم على أنها انتقاد. قالت إيفلين لابنتها الكاتبة الحرة و أم لطفلين-: «أنا لا أعرف كيف باستطاعتك عمل كل هذا بنفسك؟» إن هذا يبدو كمديح؟ لويس لا ليس بالنسبة لابنتها. فإن لويس تسمع هذا على أنه تلميحا كالتالي: «إنه ليس عليك أخذ الكثير من المسؤوليات، يجب عليك التركيز على كونك أماً لأطفالك». ليس من المؤكد ما إن كانت تفكر إيفلين بهذه الأفكار الانتقادية أم لا، عندما قالت هذا

لابنتها. إن في أذهاننا راداراً خاصاً مضبوطاً ومعدلاً لالتقاط أي إشارة للرضا أو عدمه، إنها تستطيع التقاط أكثر التلميحات دقة للرضا أو الانتقاد، أو أي ملاحظة بريئة كبراءة سرب من الطيور الطائرة في السماء.

إن المراوغة أو اللامباشرة إن كانت مقصودة أو حقيقية هي بمثابة وسيلة نقل للنقد في فضاء القضايا الثلاث الكبار: «الشعر، والملابس والوزن». إن قول الأم لابنتها: «أعتقد أنه ليس عليك ارتداء هذه الملابس في عملك»، تجعل ابنتها تجفل لأنها تعلم أن أمها لا تحب ذوقها في اختيار الملابس. ملاحظة أخرى من أم لابنتها» هل تحتاجين فعلا هذا الفستان؟» ولكن البنت على علم أن أمها تقصد أن عليها إنقاص بعض الوزن. ومن ثم فإن هناك الشعر...هذه المعضلة دائمة الوجود.

أم كيم مقتنعة بأن شعر ابنتها يكون جعداً وسميكاً ومنتفخاً كالفرو عندما يكون نظيفاً. ولكنه يتدلى بجانب وجهها بطريقة مسطحة وباهتة عندما لا يتسنى لها الوقت لغسله. «مسطح وباهت هنا هو وصف تقريبي لشعر كيم الذي هو في الحقيقية ليس مستوٍ على الإطلاق». لقد تأذت كيم من تعليق أمها، ولكن الذي يدفعها للجنون هو عدم قول أمها ببساطة إن شعرك يبدو باهتًا، قومي بتمشيطه قليلاً، ولكنها تقول شيئاً كهذا «ما الذي سنفعله حيال شعرك؟» تفكر كيم، ولكنها لا تتفوه بشيء: «إننا لن نقوم بفعل أي شيء تجاهه، إنه شعري وأي شيء سأقرر فعله سأقوم به بنفسي». وبالرغم من أن غضبها مثبت على ـ الرسالة الخفية ـ في كلام، إلا أنها تألمت من كلمات أمها التي تركتها تشعر بأنها غير جميلة.

o b e i k a n . c o m

أم رواندا من النوع الذي تستيقظ مبكراً، ورواندا تعلم تماماً أن أمها لا توافق على أن يبقى أحد في الفراش إلى ما بعد الساعة الثامنة صباحاً. وفي يوم إجازة اتصلت أمها في الساعة التاسعة والربع صباحاً، وردت رواندا على الهاتف بصوت صباحي كسول، فقالت أمها: «أوه روني، هل أيقظتك من النوم؟» وفي الحقيقية هي لم تفعل فقد كانت رواندا مستيقظة لكنها كانت متمددة في السرير. ومن أجل أن تبالغ رواندا بإزعاج أمها ولرد الملامة، قالت رواندا: «نعم» في أحسن صوت مقرف يوحي بأنها فعلاً مازالت نائمة. فقالت أمها: «آه إنني آسفة جداً....» ولكن بدلاً من الاعتذار تحول كلامها إلى اتهام حين أكملت فقالت: «يا نوامة». لقد اعتقدت أن كل من في المنزل قد صحا مع الساعة التاسعة. وتختم الحوار بتلميحه من خلال نغمة صوتها الضاحك الذي يتضمن معنى آخر للحكم.

في بعض الأحيان تشعر الأم أنها تدخل المنطقة الخطرة، لذا فهي تفتح الموضوع بطريقة غير مباشرة، معتقدة بأنها تخطو برفق أوحتى بصمت. ولكن الأرض تحتها مضغوطة بشكل جيد لذا فإن ابنتها تسمع خطاها آتية، والمراوغة تزيد من غضب البنت. تصف إحدى تلميذاتي ردة فعلها في واجب مكتوب حيال طرق أمها غير المباشرة في الكشف عن عدم رضاها. وكما في حالة رواندا فإن نقطة الاتصال هنا هي النوم لساعات متأخرة، والساعة السحرية هي التاسعة. كاثي تصف صباحاً عادياً في منتصف الصيف، هي لا تذهب للجامعة في الصيف وبالطبع فقد سهرت ليلية البارحة لوقت متأخر.

قد أتى الصباح ولم أشعر به لأنني كنت نائمة ثم سمعت: «كاثي» مع مَدّ صوتها بالحرف الأخير، إنها أمي تقوم بإيقاظي قبل التاسعة. إن صراخها من الدور الأسفل لا يزعجني، ولكن حافزها هو ما يجعلني أبدأ اليوم بغضب.

إن كاثي تدون أنها لم تنزعج من ـ الرسالة ـ وهي أن أمها تريد إيقاظها ولكن ما يفور في صدرها هو ـ الرسالة الخفية ـ في صراخ أمها بـ: «كاثي» فهي تعني أن اليوم قد انتصف وأنت ما زلت في السرير، وأن الحيوانات في المزرعة تحتاج إلى من يرعاها. ولهذا السبب يفضل الناس ساعة المنبه فأنت لا تتلقين ـ رسالة خفية ـ من المنبه ولكني أتلقى ـ رسائل خفية ـ من كلمة واحدة تخرج من فم أمي، (إنها ليست في الحقيقة كلمة فقط طريقة لفظها لاسمي).

بعد ذلك تستخدم أم كاثي حيلة مبدعة لتجبر ابنتها على النهوض، فقد قامت بإرسال كلاب العائلة لغرفتها. تكتب كاثي: «أستطيع أن أسمع وقع أقدام الكلاب في الغرفة، تثب وتنتظر مني أن أقوم وبالطبع أفعل». تعبر كاثي بأنها تكون أقل غضبًا عندما يكون مبعوث أمها الكلاب الصغيرة، ولكن الكلاب في ذاتها تحمل نفس الرسالة الخفية لصوت أمي. لأنها تعلم أن أمها أرسلتهم.

وفري المديح

عندما تكون الأم كثيرة الانتقاد، فإن عدم موافقتها الواضحة قد ينتج من إحساسها بالتربية المناسبة للطفل. فإن من المتعارف عليه بشكل واسع في كثير من الثقافات أن الكثير من المديح للطفل من الممكن أن يسبب بتورم عقله، أو (نفخ رأسه كما يقولون). في الحقيقة هناك ثقافات تحمل عادات تصدق أنه إذا جلبت الانتباه لأي نجاح أو حظ جيد فأنت تخاطر بتدميره من خلال جلب عين الشيطان عليه، لذا فإن مدح الصغار متجنب تماماً ودائماً. إن الثقافة التقليدية للإغريق تتبع هذه القاعدة تماماً كما الثقافة اليهودية الشرق أوروبية.

إن اللغة اليدشية ـ لغة يهود شرق أوروبا ـ تقدم عبارة عليك قولها لتدفع الحظ السيئ القادم مع المدح - خصوصاً لطفل -. سمعت هذا التعبير كثيراً خلال نموي في بروكلن. إنه يبدو لي كهذا: «كوناهورا» فسر لي اللغوي جيمس ماتيسوف على أنها في الواقع «كين ـ عين ـ أورا» والتي تعني كن عيناً عوراء أو لا لعين الشيطان. لم يكن لدي أي علم أنها متصلة بعين الشيطان ولا حتى والدي عندما أخبرتهما بمعلوماتي الجديدة فيما بعد. ونقلاً عما قاله ماتيسوف فإذا رأت امرأة من الجالية اليدشية طفلاً جميلاً فإنها ستقول عكس ما تفكر به: «يخ ما أبشعه من طفل!» هل هذا معقول؟ إن الذين يضحكون الآن على عقيدة الإيمان بعين الشيطان قد امتصوا عادة الحجم عن مدح أبنائهم. هل من الممكن لهذه العادة أن توضح لنا لماذا البنت التي لم تتلقَ المديح من أمها تتفاجأ فيما بعد من معرفة أن أم صديقتها فخورة بابنتها وأنها لا تكف عن الحديث عنها.

إن المنطق وراء قول التعبير «يخ ما أبشعه من طفل!» عن طفل جميل بالتحديد جعلني أفكر في الملاحظات المهينة التي تلقتها بعض النساء من أمهاتهن مثل: «إن لشعر أبريل تجاعيد ملتفة وجميلة، إنه لمن المؤسف أن شعرك ليس كشعرها». (هذا بغض النظر أن أبريل كانت تحاول دائماً فرد شعرها المجعد). أو ملاحظة كهذه: « ماذا يريد هذا الدكتور منك؟» «ماذا يريد مني؟! حسنا اتضح في نهاية الأمر أنه يريد زوجة». فقد انتهى بهم الأمر إلى الزواج. هذه التلميحات قاسية ووحشية وقد سمعت الكثير منها. ويبدو أنه من المحتمل أن النساء اللاتي خاطبن بناتهن بهذه الطريقة كن صدى لأمهاتهن أنفسهن، يقمن بتمرير نفس التمرس الذي قد تطور على مر الوقت، من الشعور بأن مدح الطفل من المحتمل أن يجلب له الحظ

السيئ. وأن حبس المدح يبني الشخصية. والشيء المتصل بهذا الاعتقاد أيضاً هو ازدراء أي فخر أو اعتزاز أو أي شيء من الممكن أن يفهم على أنه تهنئة للنفس، فليس على الطفل الفخر بنفسه وليس علينا مدحه.

كتبت الكاتبة إسميرالدا سانتيكو في جريدة «بويرتو ريكان» أن جدتها كانت تردد مقولة بالأسبانية كلما رأت من حفيدها تفاخراً وتباهيًا وهي: «تباه وتفاخر الآن.. فالدجاج سيصبح يخنة غداً». (اليخنة هي طبق معد على نار هادئة).

إن الثقافة السويدية أيضاً تثبط أي مدح للأطفال، وأي إشارة إلى تشجيع وتعزيز للنفس. إنه لمن الطبيعي لوالدين سويدين أن يثبطا محاولة واضحة لطفل بتكبير وتعظيم نفسه بسؤال بلاغي متكلف: « هل تظن نفسك شخصاً مهماً؟»

هذا العرف أو التقليد الثقافي ربما يساعدنا من نواحٍ أخرى في فهم و تفسير تعليقات محيرة ومؤلمة.

إن كارين وهي امرأة سويدية تعيش الآن في الولايات المتحدة عادت إلى الجامعة بعد خروج آخر طفل لها من المنزل للكلية. وقد أعدت رسالة الماجستير في العلاج والاستشارة النفسية. وفي يوم هاتفت والدتها لتسلم عليها، وذكرت خلال الحوار كم هو صعب الإعداد والدراسة للامتحانات النهائية. فقالت والدتها: «يبدو أنك تبالغين في الموضوع.» شعرت كارين بالصدمة، ولكنها حاولت أن تكون مرحة وتقلل من شأن نفسها فقالت: «حسنًا.. فأنت تعلمين عندما تعود امرأة في منتصف العمر للدراسة فإن عليها أن تحاول جاهدة.» ولهذا ردت أمها قائلة: «إلى أي مدى من

العمر تحسبين أنه يمكنك وصف نفسك بامرأة في منتصف العمر؟» وهذا السؤال المتكلف لم يلدغ فقط ولكنه آلم أيضًا فالآن أمها تقول لها: إنها أصبحت عجوز.

لماذا يا ترى أرادت أم كارين إهانة ابنتها بهذا الشكل، ربما أرادت مضايقتها فقط، ولكنها ارتطمت في جدار، ومن المحتمل أيضاً أنها سمعت في البداية شكوى كارين من كثرة دراستها ثم كثرة محاولتها ـ كنوع من التعزيز والتعظيم للنفس ـ ومن منطلق التوقعات السويدية بأن الأفراد عليهم التقليل من شأن محاولاتهم وإنجازاتهم، وأن على الآباء غرس هذه العقيدة في أبنائهم. ولكن لم يكن هدف كارين التفاخر على العكس، فقط اعتقدت أن ملاحظاتها كانت تدل على الانتقاص من قدرها. ومع ذلك فإنه من المفيد أن نفهم أن الأم ربما كانت تفرض نفس قواعد السلوك التي تشربتها من والديها، معتقدة بذلك بأنها تفي بمسؤوليتها تجاه تعليم ابنتها الأسلوب اللائق. ومن خلال هذا المشهد فإن الأم التي تفرغ روح صغيرها هي ببساطة تحرص على بناء شخصيته والاستمرار في هذا العمل بعد بلوغ الطفل سن الرشد هو ببساطة توفير التعديل والضبط الدوري للطفل.

إنها تريد إرضاءَكِ

من خلال سماع كل هذه الأمثلة فإن منا من يرى الاعتناء، ومنا من يرى النقد. هل هناك سبيل خارج هذه الأدغال؟ إن تفهم الدافع خلف النقد الواضح من الممكن أن يساعدنا. لكن هل هناك أمور يمكن للأم أو البنت اتباعها لكسر دورة الأذى والإساءة التي تبعدهن عن بعضهن؟ إن الحل الجلي هنا للرضا وتحسين هذا اللغز هو أن تقاوم الأمهات الدافع

إلى إعطاء النصائح وتقديم المساعدة والاقتراحات عندما تصبح بناتهن بالغات. سمعت هذا من كثير من النساء اللاتي ذكرن أنهن على علاقة جيدة ببناتهن الراشدات. واحدة ذكرت أنها تعلمت هذا الدرس من ابنتها: «لا تعطيني النصيحة إلا إذا طلبتها.» « ولا تلمحي بالنصيحة أيضاً». (وربما لا تستطيع الأم الوفاء بهذا ولكنها بالتأكيد تستطيع المحاولة.) وأم أخرى علقت قائلة: «إنني أعض على لساني كثيرا حتى لا أتكلم.. أنا متفاجئة من أنه لا ينزف». و فوق ذلك علقت أخرى:» إنها لا تريد نصيحتك.. إنها تريد رضاك ومباركتك».

ولكن ماذا لو أن الأم لم تستطع إعطاء رضاها؟ إن هناك أوقاتًا حيث يكون هذا التصرف غير مسؤولٍ تماماً، فلكل أم قد ندمت على فتحها فمها، هناك أم قد ندمت على إبقائه مقفلاً، وأنها فشلت بتحذيرها، أو أنها حذرتها من الإصرار على تصرف قد رأت فيه خطورة عليها. (والشيء نفسه بالنسبة للبنات عندما تكبر أمهاتهن في السن). كيف تعلم الأم أنه من الأفضل أن تصمت لتتجنب التلميح بالنقد. ومتى يكون من الضروري بالفعل التكلم لحماية البنت من الأذى؟ عندما يكون الأطفال صغاراً فإن الإجابة سهلة: افعلي ما تحتاجين لحمايتهم. وعندما يدخلون مرحلة المراهقة فإن الموضوع أصعب: أي محاولة لمساعدتهم عادة ما تغضبهم، لأن من أهم أمانيهم أن يثبتوا أنهم لم يعودوا يحتاجون إلى الحماية. ولكن ماذا عندما تصبح ابنتك بالغة وكبيرة ومسؤوليتك عنها قد انتهت رسمياً، ولكن في الحقيقة لا تلغى أو تخمد أبدًا؟ لذا فإن القرار بتقديم النصيحة لم يعد واضحًا.

obeikan.com

«دوري» مثلا تلقت اتصال من ابنتها «زووي» تخبرها أنها قد زارت طبيباً جراحاً بشأن آلام ظهرها. وأن الطبيب قد نصح بإجراء جراحة، وقد حدد الموعد لذلك في الشهر المقبل. ذعرت الأم دوري من الخبر، إنها تعتقد أن على ابنتها أن تكون أكثر حذرًا حول القيام بفعل شيءٍ خطير كهذا. بالتأكيد إن على زووي أن تأخذ برأي طبيب آخر، وأن تجري بحثًا في سجل وأوراق هذا الطبيب. ولكن دوري أوقفت نفسها عن التعبير صراحة بهذه المخاوف. وبدلاً من هذا سألت: « هل أنت مرتاحة لفعل هذا؟» «أليس هذا سريعاً قليلاً؟» ـ وبالطبع فإن زووي سمعت من أمها تلميح عدم الرضا، وليس القلق والاهتمام – قالت: «أمي.. إنني في الأربعين من عمري أعتقد أنني أستطيع الحكم على هذه الأشياء بنفسي».

دوري تراجعت وتركت زووي تفعل ما تريد بطريقتها مع استمرار قلقها. إن القلق في بعض الأحيان على صحة شخص ما ملح للغاية حيث يدفع الأم إلى أن تقرر أنه ليس هناك أي مقدار من الغضب على ابنتها سوف يجعلها تعدل على رأيها.

أم أخرى «شيرلي» كانت فرحة أنها فعلت، كانت متأكدة أن على ابنتها بيكي أن تتأكد من بعض العوارض التي أحست بها، وقد ألحت عليها بكثرة لدرجة أن ابنتها بيكي توقفت عن الكلام معها لأسبوعين. ومع ذلك لم تيأس شيرلي. فقد اتصلت بزوج ابنتها في عمله وانتصرت عليه في التأكيد على أن ترى ابنتها طبيباً. في الحقيقة بيكي كانت تعاني فعلاً من مرض مهلك، وإصرار أمها قد أنقذ حياتها.

انتقال القوى العظمى

عندما كانت بيكي صغيرة لم يكن على أمها إقناعها بالذهاب إلى الطبيب إذا اعتقدت أنه تصرف واع. إنها ببساطة تقوم بعمل موعد مع الطبيب وتأخذ طفلتها إلى هناك. وهذه واحدة من الطرق التي تفقد فيها الأمهات قوتهن عندما تصبح بناتهن بالغات. بالفعل فعند انتقال البنت إلى منزلها الخاص فإنها تستطيع أن تقرر عدد المرات ـ وحتى متى ـ تتكلم مع أمها. وأيضًا عندما تنتقل البنت فإن الأم تصبح هي من يتشوق إلى رضا ابنتها الآن خصوصًا في مجتمعنا الذي يقدر الشباب النضر أكثر من حكمة العمر. إن الأم من الممكن أن تتألم من عدم رضا ابنتها على طريقة لبسها للملابس أو الحلي، أو على قرارها في مكان العيش أو الرجل الذي تريد أن تتزوج إذا كانت أرملة، أو حقيقة أنها أرادت أن تتزوج للمرة الثانية أصلا. وفقط ابنتها هي التي تستطيع إعطاءها الختم النهائي للموافقة. عندما تعاود التأكيد لها أنها قد أدت عملاً جيداً كأم. ومن خلال هذه الطرق فإن الأم تكون تحت رحمة البنت تماماً كما كان عليه أبناؤها عند صغرهم.

إذا كان للبنت أطفال فإن هذه طريقة أخرى تكون فيها الأم تحت رحمة ابنتها، حيث إن من أكبر المتع لحياة نساء كثيرات هي هدية الأحفاد. حيث الحب الوافر والحقيقي والمتعة والاهتمام لهذه المخلوقات الصغيرة وتلقي حبهم بالمقابل. ويأتي هذا الحب محررًا من عبء مسؤولية الأمومة. ولكن الوصول لهذا المصدر العزيز متحكم به من قبل الوالدين أو الأمهات بالتحديد. وهذا يعطي البنات الراشدات ـ أو زوجات الأبناء ـ قوة كبيرة

obeikan.com

على أمهاتهن. إن جزءًا من امتناع بعض النساء عن إزعاج أو مضايقة بناتهن ـ أو زوجات أولادهن ـ هو الخوف من حرمانهن من رؤية أحفادهن أو تقليل الوقت الذي يقضونه معهم.

إنه تحد كبير للأم أن تتعامل مع كل هذه الطرق مع ضعف ونقصان سلطتها. إنه من المفيد تذكر أن ردة فعل البنت الشديدة تجاه كلمات أمها هو دليل قاطع على أن ما تقوله الأم مازال مهمًا لها. وأنه من المفيد أيضًا البحث عن طرق جديدة لممارسة السلطة. علقت امرأة تحظى بعلاقة ممتازة مع ابنتها فقالت: «أحاول صنع موقفي من خلال إخبارها كم تبدو جميلة وكم يبدو الأطفال رائعين». وهذه بالضبط الطرق التي تستخدمها كثير من الأمهات في محاولة طرح تعليقات التحسين. تخيل أن تقول أم بولا عند زيارتها: «إن منزلك يبدو جميلاً، لقد قمت بعمل رائع في تزيينه». (ومن يدري لو أنها اتخذت من هذه الطريقة عادة لها لربما تقبلت بولا عرض أمها بالمساعدة بشراء الزينات).

وتماماً كما النقد فإن مدح الأم لابنتها يحمل وزنه الكبير أيضاً. ورؤية أهمية هذا المدح يعيد للأم التأكيد والأمان بأنه مازال لديها دور مهم في حياة ابنتها. إن الأم المتألمة من اتهامات ابنتها لها بالنقد ربما تواسي نفسها بأن الذي يحدث من ابنتها من تضخيم للأمور هو في الحقيقة إعجاب. فسرت امرأة كيف من الممكن أن يحدث هذا عندما كانت مراهقة فقالت: «ربما لا يكون افتراض النقد هذا بسبب نقد أمك لك. إنني في الحقيقة لا أعتقد أن أمي أمضت الوقت الطويل في نقدي ولكن كثيرًا ما شعرت أنها فعلت لأنني لم أكن أصل إلى المقياس أو الدرجة التي هي عليها. لم أكن جيدة مثلها. لم أكن أدري أنني ماهرة في أشياء

كثيرة... بالطبع لقد كنت في الرابعة عشر». ولكن لأنها أرادت الوصول إلى مقياس أمها بشدة، «لقد كان في الحقيقة نوع من نقد النفس ولكن هذا صعب.. فتصورت أنها كانت تنتقدني».

ربما يكون هناك بعض الصواب في معرفة أن رفض البنت لأخذ نصيحة أمها على وجه الجدية من الممكن أن يعني الكثير من الحرية و«العتق» للأم. عندما تفهم الأمهات أن نصائحهن لم تعد مطلوبة أو مرغوبة ولم يعد يأخذ بها بجدية فهذا بدوره يرفع الحمل الثقيل عن أكتاف الأمهات والبنات معًا.

على الأمهات أيضاً معرفة أنه لو أخذت بناتهن بالنصائح وكانت حكمة الأمهات بمثال المرشد والمعلم لهن، فإنه قد يأتي الوقت الذي تندم فيه البنت على هذا النمط، وتنقلب عليه للجهة المعاكسة. قالت إحداهن: «لقد سمحت لأمي بأن تكون الحكم لما هو صواب أو خطأ في حياتي، وبدون وعي مني كانت قد برمجت أفعالي ومعتقداتي».

لقد شعرت هذه الابنة فيما بعد خلال حياتها بأن التنازل عن رأيها وحكمها لأمها يعكس قلة الثقة بنفسها. وبدأت باتخاذ موقف لا يجعلها تتطلب نصيحة أمها على الإطلاق، حتى لا تكون متأثرة كثيراً بها. لدرجة أنها قد رأت حلمًا ترى فيه تمثالاً لأمها وتقوم بتحطيم رأس هذا التمثال. صحت من نومها بشعور عتق وحرية.

إن الابنة التي لم تهتم كثيرًا برأي أمها لن يكون عليها الشعور بالحاجة إلى قطع رأيها رمزيًا حتى تشعر بالتحرير فيما بعد.

ربما يكون هناك درسٌ للأمهات في قصة نثانيال هاوثورنرز «علامة الولادة» تدور القصة حول رجل تزوج من امرأة بارعة الجمال وغاية في

o b e i k a n . c o m

الكمال إلا من علامة ولادة واحدة. وكان مهووساً في إزالة هذا العيب فأقنع زوجته المعارضة بإزالة علامة الولادة جراحيًا، ونهاية القصة الحزينة بأن الجراحة لا تزيل العلامة ولكنها تنتهي بقتل الزوجة.

إذا كانت الأم لا تستطيع مقاومة إلحاح الرغبة للتصحيح أو النصح أو تسديد الاقتراحات، هل هناك شيء تستطيع البنت فعله بنفسها؟ إن هناك شيئاً واحداً تستطيع الابنة تذكير نفسها به، وهو أن محاولات أمها لتحسينها هي دليل على اهتمامها الكبير بها وشعورها بأنها تفقد سلطتها.

وإذا فشل كل هذا فإن على الابنة اعتبار أن تدقيق أمها هو ثمن عليها دفعه مقابل وجود أمها في حياتها. وحالما تذهب الأم فإن الابنة ربما تجد نفسها تفتقد نزعة أمها إلى الانتقاد إلى جانب وجوه أخرى من شخصيتها.

أخذت نيكول نظرة خاطفة على هذا عندما خضعت أمها لجراحة طارئة، أخذت الطائرة من كاليفورنيا إلى فلوريدا فور سماعها الأخبار الخطيرة. بحثت عن غرفة أمها في المستشفى وهي قلقة جدًّا وأول شيء قالته أمها عندما دخلت الابنة الغرفة هو: «ما آخر مرة صبغت فيها جذور شعرك؟» هذا التعليق كان من الممكن أن يغضب نيكول في موقف آخر لو أنها لم تكن مريضة. لكانت فكرت: «أن هناك القليل من الشيب ظاهرًا. لماذا عليها التركيز على ذلك الآن». ولكن في هذه الحالة وجدت نيكول تعليق أمها عميقًا ومريحًا. إنه يعني أن أمها خرجت من الجراحة بجسد سليم ـ وشخصية سليمة ـ مازالت أمها هي نفسها.